Received: 25 / 4 / 2024 Accepted: 9 / 6 / 2024 Published: 9 / 1 / 2025

الحِجاج عند ميشال مايير الأدب الجاهلي إنموذجًا

م.م. نور الهدى حيدر غالي

noor.al-huda@uomustansiriyah.edu.iq

الجامعة المستنصرية، كلية التربية

المُلخص

يُعد الحِجاج من النظريات البلاغية الحديثة التي أسهمت في تأسيس فكر بلاغي جديد ويُعد مايير من أهم منظريه الذين تمكنوا من إظهار المكونات الجديدة للخطاب البلاغي ومثلت هذه النظرية طفرة نوعية في تحليل الخطاب بلاغيًا ضمن مجال التواصل والإقناع، ولهذا قمت باتخاذ نماذج من الأدب الجاهلي الشعري والنثري متناً لتحليل أفكار النظرية التي تتبنى طرح الأسئلة للوصول الى أجوبة تنبثق منها تساؤلات جديدة تخضع لنظام الأنساق المضمرة , والظاهرة للخروج عن النمط التقليدي والشكلي لتحليل النصوص بلاغياً، شرحًا وتحليلًا، وفي محور آخر من البحث تم طرح النصوص الأدبية التي تعود للأدب الجاهلي كمتن لدراسة خطاب القيم والأعراف العربية , وذلك لارتباط مفهوم ميشال مايير الحجاجي ارتباطاً وثيقاً بالقيم الاجتماعية التي بإمكانها أن تعمل على تغيير مسار النص وتكون مؤثرة بالمجتمع العربي عمومًا والجاهلي على وجه الخصوص، كما إن ميشال مايير يُحتم على المُحاجج القبول والتقبل وفقاً لمبادئ الأخلاق التي حكمت النص العربي القديم وهذا ما ستتم مُبرهنته خلال الخوض في تفاصيل البحث.

الكلمات المفتاحية: الحِجاج، الشعر، النثر، مايير، الجاهلية

Pilgrimages in Michel Mayer's pre-Islamic literature as a model

Asst. Lect. Noor Al-Huda Haider Ghali

Al-Mustansiriya University, College of Education

Abstract

Argumentation is viewed as a contemporary rhetorical theory that has significantly contributed to the development of a novel rhetorical ideology. Michel Meyer stands out as a leading figure in this field, adept at unveiling the fresh elements of rhetorical communication. This theoretical framework marks a substantial advancement in the analysis of discourse from a rhetorical perspective within the domain of communication and persuasion. As a result, we have utilized pre-Islamic poetry and prose as textual sources to scrutinize the concepts of this theory, which emphasizes the use of questioning to derive answers leading to further inquiries. This method operates within a framework of implicit and explicit structures, diverging from the conventional and formal conventions of rhetorical text examination. Furthermore, another facet of the study involves employing literary works from pre-Islamic literature as a basis for exploring the discourse surrounding Arab customs and values. This approach is rooted in Michel Meyer's notion of argumentation, which is intricately linked to societal values capable of shaping the trajectory of textual content and influencing Arab society at large, particularly the pre-Islamic era. Additionally, Michel Meyer advocates for the arguer's compliance with ethical principles that governed ancient Arabic writings, a concept that will be elucidated in the subsequent sections of this research.

Keywords: pilgrims, poetry, prose, Mayer, pre-Islamic times

ميشال مايير هو من الفلاسفة الفرنسيين الذين أعادوا النظر في الفلسفة الغربية في ظل الفلسفة التساؤلية، كما يُعد أحد أهم منظري البلاغة المعاصرة إذ أحدثت دراساته نقلة نوعية في مجال الحجاج من وجهة نظر فلسفية، وتمكن من إظهار المكونات الجديدة

DOI: https://doi.org/10.47831/mjh.v3i1.662

للخطاب الحجاجي البلاغي من خلال وضع تصور جديد ومُنفتح على العلوم الإنسانية الفلسفية وهو بذلك يبقى شديد الاتصال بنظرية بيرلمان وتيتكا في البلاغة والحجاج من حيث إعادة الاعتبار للخطابة.

اهتمام مايير بالحِجاج كان في سياق تأسيسه لنظريتهِ الفلسفية (نظرية المسائلة)، إذ أن من أهم أركانها لديه هو؛ تصوره للخطاب اللغوي ووظيفته من خلال قراءات متجددة لتاريخ الفلسفة فهو يذهب الى أنَّ نشأة السؤال مُقترنة بميلاد الفلسفة (حمود، د.ت) ولأن التفكير هو مجموعة أسئلة، لذلك ألغى مايير جميع المدارس اللغوية السابقة التي اهتمت باللغة والكلام لأنها لم تجعل من السؤال أساس نظرياتها، وأسس منهجًا جديداً في عملية التخاطب وهذا المنهج يقوم على مبدأين أساسيين هما: مبدأ افتراضي وذلك بافتراضه أسئلة وأجوبة متعددة في الخطاب ومبدأ الاختلاف الإشكالي أي أن كثرة الاختلافات تحكمها مجموعة من الضرورات الواقعية تجسدها اللغة، ولكن حدتها تتقلص تدريجيًا بفضل التواصل الإنساني عن طريق الإجابة عن الأسئلة الغامضة وطرح المزيد من الأسئلة حول هذه الإجابات للإجابة عنها ايضًا مرة أخرى (رزقي، ٢٠١٧م).

انطلق ميشال مايير في تأسيس نظريته من وسائل الاستمالة الثلاث التي حددها أرسطو للخطابة وهي:

1- الايتوس: تعنى بخصال الخطيب وأخلاقه
2- الباتوس: تعنى بالمشاعر والأحاسيس
3- اللوغوس: ما يتعلق بشكل الخطاب للاستمالة والتأثير

إذ حافظ على علاقة المتكلم بالمخاطب، ولكن مايير تجاوز هدف أرسطو وهو الاستمالة والإقناع وذهب الى هدف جديد وهو صناعة الظروف الملائمة لإثارة الأسئلة القائمة على الحجاج فأعاد تقسيم العناصر الخطابية الارسطية الى ثلاثة أركان جديدة هي:

1- الأخلاق
2- السؤال
3- الجواب (عشير، ٢٠٠٦م، صفحة 6)

وسنوضح ذلك من خلال مخطط لكلا التقسيمين:

أرسطو: الإيتوس الباتوس اللوغوس

مايير: الاخلاق السؤال – الجواب

إذ اختزل الإيتوس والباتوس بالأخلاق وفرع اللوغوس الى السؤال والجواب.

فمفهوم الحجاج عند مايير لا يخرج عن السمة الاجتماعية كونه عقليا استدلاليًا من جهة وتواصليًا إقناعيًا من جهة أخرى تحت مبدأ أن الجواب هو سؤال مفترض في نفسه موجه لجمهور المتلقين.

لقد مثلت هذه النظرية طفرة نوعية في تحليل الخطاب في مجالي التواصل والإقناع بوصفها نظرية تساؤلية فلسفية تعتمد على ثنائية الافتراض والانتظار وتستند إلى الاختلافات الاستشكالية في التأويل والفهم (عشير، ٢٠٠٦م). إذ يمكن أن نفهم الإقناع في بعده الشامل بوصفه استعمالاً للغة في محاولة لتعديل او تحويل رؤية المجتمع بما تضمنه هذه الرؤية من مشاعر ومواقف وطرائق التفكير.

خطاب الانساق

إنَّ النسق هو ما كان على نظام وطريقٍ واحد، بصورةٍ متتابعة متوالية وعليه يكون معنى النسق بمجموع ما يحمله من معانٍ وتفاصيل فينظم الأشياء تِباعاً.

إذ يُعَدّ مصطلح النسق من بين أهم المصطلحات الرائجة في حقل الدراسات الأدبية والنقدية ولاسيما الثقافية منها فيعرف النسق بأنه ((النظام التقني الذي يميز البنيات المشتركة في النص وهو متعدد ومتكرر، وهو عالمي ودال على مستويات البنية، كما أنه نمطي وتقليدي وشكلي ومبتكر في الوقت نفسه بينما ترتكز البنية على الدلالة على الرغم من تقنيتها الشكلية وهناك بين النسق والبنية علاقة جدلية لا فكاك منها: فالبنية هي التي تكشف النسق كما أن النسق هو الذي يكون البنية)) (المناصرة، 2006م، صفحة 3).

ومن خلال توضيح مفهوم النسق عن غيره من المفاهيم نعود إلى الحديث عن النسق الظاهر والخفي للخطاب من وجهة نظر مايير الذي يشتغل على محورين:

DOI: https://doi.org/10.47831/mjh.v3i1.662

أحدهما صريح، والآخر مضمر، ولكل منهما دلالة لها أثرها في الإقناع ويكون للنسق اليد العليا في كلا الخطابين وهذا يعني ضرورة تجاوز الخطاب البعد المنطقي الى منطقة ما بعد المنطق ليناط بالمخاطب إخراج المضمر من الخطاب وإنتاج خطاب آخر يوازيه في طرح الأسئلة مما يجعل المقام الذي وقع فيه الخطاب عرضة للحِجاج، وفي هذا الجانب سنقوم بعرض بعض النصوص الأدبية للأدب الجاهلي بشعره ونثره مستعرضين فيها أثر الأنساق الظاهرة والخفية حجاجياً فغالباً ما تكون الأنساق الظاهرة أسئلة والأنساق المضمرة مخفية وما بينهما إقناع وهذا ما سنثبته في بحثنا هذا وعلى وفق ما يراه مايير وأول ما سنتطرق إليه:

عمرو بن كلثوم أحد شعراء المعلقات في الجاهلية، وأحد فرسان العرب، وسيد في قومه الذي قدم على عمرو بن هند، وهو عمرو بن المنذر بن امرئ القيس ملك الحيرة في الجاهلية توفي سنة (578م) عرف بنسبته إلى أمه هند وذلك لنسبها وشهرتها وتمييزاً له عن أخيه عمرو الأصغر (البياتي، 1986م).

((فدخل عمرو بن كلثوم على عمرو بن هند ومعه ليلى بنت المهلهل أم عمرو بن كلثوم وقد كان عمرو بن هند قد دعا والدته أن تنحي الخدم وتدع ليلى تناولها ما تريده من الفواكه والتحلية التي تؤخذ بعد الطعام ولا نعرف سبب هذا الطلب هل هو لضغينة بين العمرين؟

فقالت هند:

يا ليلى ناوليني ذلك الطرف

فقالت ليلى: لتقم صاحبة الحاجة الى حاجتها، فأعادت عليها وألحت فصاحت ليلى: وذلاه... يا لتغلب!

فسمعها عمرو بن كلثوم فثار الدم في وجهه ونظر اليه عمرو بن هند وعرف الشر في وجهه فوثب عمرو بن كلثوم الى سيف لعمر بن هند تعلق بالراق وليس هناك سيف غيره فضرب به رأس عمرو بن هند وقد شهد هذه الحادثة شاعر من شعراء الجاهلية يدعى أفنون التغلبي وقال فيها:

ولَســـــنا كـــــأقوامٍ قريـــــبٍ مَحَلّهـــــمُ	وَلَســـــنا كَمَـــــن يُرضْـــــونَكُم بـــــالتَّمَلُّقِ
ســـــائِلِ شُـــــراحِيلاً بنـــــا ومُحَلَّمـــــا	غَـــداةَ تكُـــرُّ الخَيـــلُ فـــي كُـــلّ خَنَـــدقِ
لَعَمْـــرُكَ مـــا عَمْـــرُو بـــن هنـــد وقـــد	دَعـــا لِتَخـــدمَ لَيلـــى أُمَّـــهُ بِمَوَفَّـــقِ
فقـــام ابـــن كلثـــوم الـــى الســـيف مصـــلتا	فأمســـك مـــن ندمانـــه بـــالمخنقِ
وجللـــه عمـــرو علـــى الـــرأسِ ضـــربة	بـــذي شـــطبٍ صـــافى الحديـــدةِ رونـــقِ))

(الاصفهاني، 1980م، صفحة 49/ ج11)

ففي هذا النص وجهٌ لدلالات مُتعددة للحصول على الإجابة عن الأسئلة المُضمرة التي تتعلق بموقف عمرو بن هند، وعمرو بن كلثوم حول العِداء المُبطن الذي أدّى الى هذا الخلاف، فلا يمكن لامرأة بمكانة هند تتصرف مثلما تصرفت هي، فهي تعلم جيداً أن عواقب إهانة ليلى أم عمرو بن كلثوم وخيمة فكان خطابها يحمل ضمنياً إهانة لعمرو بن كلثوم نفسه وهذا يدل على قناعتها التامة بما فعلت.

وهذا ما أراد الشاعر الذي كان حاضراً إيصاله من خلال أبياته الشعرية فوصف الحدث مستهجناً الإهانة التي تعرض لها عمرو بن كلثوم ووالدته بخطابٍ صريح وواضح، فحملت أبياته وجهة نظر مركزة لتصور واقع القبيلة التي لا ترضى بالذل والإذلال حتى صار جوابه ذو موقف واضح وصريح لا غبار عليه.

وفي جانب آخر من الجوانب الحجاجية حمل الخطاب جواباً ايدلوجياً مصرحاً به أو ضمنياً ويحدد هذا الجواب فكرة منتج الخطاب التي هيمنت على النص وهنا ممكن أن يعارضه المتلقي بأسئلة تكشف أجوبة متعارضة وهذا ما حدث مع وفد المسلمين والنجاشي وقد يكون من حكمة الله سبحانه وتعالى أن جعل رسوله الكريم(ص) يمر بما مرّ به من ظروف وأحداث حتى يعرف من يحيط به كيفية المُحاججة والتصرف وكيف تسير أمور الدعوة ليُعلن الحق للناس كافة، وكان وما زال رسولنا الكريم نبراساً يُهتدى به في تصرفاته وحكمته وأساليبه الإقناعية وتميزت وفود الرسول بما تميز به وما حدث مع جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه في الحبشة في الموقف الذي وضعه فيه عمرو بن العاص أمام النجاشي خير مثال على حسن تصرفه.

DOI: https://doi.org/10.47831/mjh.v3i1.662

بقولـه: ((أيهـا الملـك، إنّهـم يقولـون فـي عيسـى بـن مـريم قـولاً عظيمـاً، انهـم يزعمـون أن عيسـى بـن مـريم عبـد فـاجتمع وفـد المسلمون ثم قال بعضهم لبعض ماذا تقولون في عيسى بن مريم إذا سألتكم عنـه قالوا: نقول والله مـا قـال الله سبحانـه فيـه ومـا جاءنا به نبينا كائنا في ذلك ما هو كائن

فلما دخلوا عليه قال جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه:

نقول فيه الذي جاءنـا بـه نبينـا صلى الله عليـه وسلم: هو عبد الله ورسوله وروحـه وكلمتـه ألقاهـا إلـى مـريم العذراء البتول)) (هشام، 1995م، صفحة 337/ ج1).

فنلحظ هذه الإجابـة المُحنكـة للمتكلمين من المسلمين إذ حملت أنماطاً من الجواب تتنوع تبعاً لمنتج الخطـاب وتضـعه مـا بـين منطقتي السؤال والجواب في منطقة إقناعية تبرر الأجوبة وتجيب عن الأسئلة بطبيعة الردود التي تكسر حاجز الخوف ولا تتبع المنطقية بقدر ما تنحاز إلى الوسائل الإقناعية وإن كان الجواب يتنافى مع ما يريد صانع السؤال نفسه.

فليس من الضروري أن يكون المتلقي متأثراً بالخطاب أو يتقبله ولكن في النص الآنف الذكر كانت هنالك بوادر للقبول ألا وهي مجموعة المشتركات، فكان المُحتج يحتج بحجج تُشكل أهمية قصوى لدى الطرف الآخر وهذا ما عضد النتائج.

ولا تُخفى قابلية الشعر على أن يكون النص مُضمر المعنى ويتم توجيه الخطاب لأوجهٍ عدة، فهذا حسان بن ثابت الذي كان يتكسب من خلال شعرهِ قبل دخوله الإسلام دخل على الحارث الجفني أحد ملوك الغساسنة

فقال:((أنعِم صباحك أيها الملك، السماءُ غِطاؤك، والأرضُ وِطاؤك، ووالدي ووالدتي فِداؤك، أنّى يناوئك المنذر؟ فو الله كفاك أحسن من وجهه)) (الظاهري، 1984م ، صفحة 97)

ثم قال:

قَفـــــاكَ أحســـــنُ مِـــــن وجْهَـــــه وأُمُـــــكَ خيـــــرُ مـــــن المُنـــــذرِ

ويُســـــرى يَـــــديكَ علـــــى عُســـــرها كَيُمنـــــى يَديـــــه علـــــى المُعســـــر

(مهنا، 1994م، صفحة 238)

مزج حسان بن ثابت بين الحجج بطريقة ابداعية وهذه الحجج كانت راسخة في وجدانه واستحضرها اثناء تواجده في موقف يُحتم عليه المدح بشكلٍ يثير تعجب المتلقي ويخلق لديه انفعالات تشكل تصوراً إبداعياً عن الشاعر وتصل به إلى منطقة إقناعية من وراء مديح ذو نسق مضمر.

وبهذا قد نخلص الى أن جميع النصوص التي حملت او قد تحمل خطابات محملة بمقاصد ظهر قسم منها في الأنساق الظاهرة وجاء القسم الآخر في الأنساق الخفية، فكان الحجاج فيها ثرياً وصل بالمتلقي الى منطقة الإقناع والتأثير التي دفعته الى استنتاج مزيداً من الحجج التي من شأنها رفع أفق التوقع لدى متلقي الخطاب، وقد يصعب أن يخضع الحجاج لنظرية مايير دون المرور بالعامل النسقي للنص لإن الفعل ورد الفعل يحتاج الى مناورة حوارية ذات أبعاد تساؤلية تهدف الى صناعة منطقة حجاجية تُثير أقوال مُقنعة إنطلاقاً من فرضية التأسيس التي أنتجت نصاً ركز على منطق بناء الفكرة وترك الإجابة مفتوحة.

الأعراف العربية (خطابها وقيمها)

قد تبين لنا أن لدى مايير توجهاً مختلفاً عمّن سبقه ممن نظروا لقضية الحِجاج فهو يبحث عن الفلسفة التي توجّه الخطاب إلى توجهاتٍ لِتنتج أجوبة مختلفة للسؤال الواحد او أسئلة جديدة لجواب السؤال الأصل كما وأنه لا يُحبذ الخطابات التقليدية التي من شأنها تحجيم النص، وقد تأثر مايير بأرسطو الذي كانت له مُنطلقات فلسفية استبدلها الأول بمنطلقات حجاجية فكانت منطلقات أرسطو هي؛ الأيتوس والباتوس واللوغوس، وتحولت عند مايير إلى فكرة السؤال والجواب ومنطقة الأخلاق التي تكون بين الاثنين.

ولأن مفهوم مايير الحجاجي يرتبط ارتباطاً وثيقاً بمنظومة القيم الاجتماعية وما يمكن لهذه المنظومة أن تؤثر على المجتمع لذا نراه قد اختزل جزئي نظرية ارسطو المتمثلة بالإيتوس والباتوس التي تعني مجموعة القيم في الأخلاق لارتباط الأخيرة بكل ما يتعلق بمفاصل الحياة العربية.

إذ تعد القيم ((عناصر حِجاجية وأُسس إقناعية تُعبر عن موقفٍ تجاه الوجود والكائن على السواء)) (مدقن، 2013م، صفحة 180).

DOI: https://doi.org/10.47831/mjh.v3i1.662

لذا ميَّز مايير بين جزئي الخطاب تمييزاً يكاد يكون داخلياً بحتاً ونقصد بجزئي الخطاب منطقة السؤال ومن ثم البحث عن إجابة فأن لم يكن بين الاثنين أمر مقنع فيجب التقَّبل؛ وهنا تظهر منطقة الأخلاق التي تستميل الخطاب إلى مركز الحدث.

فالخطاب الحجاجي لدى مايير عموماً مؤلف من استراتيجيات إقناعية، وهذه الاستراتيجيات هي من صنع الواقع ونتاج خطاباته اليومية، ونقصد واقع الحدث اليومي، فما بين التأثير والإقناع قرابة ذاتية موضوعية تقام على إساسها النظرية الحجاجية.

ويفصح مايير في رؤيته الحجاجية عبر الإفصاح عن الأطراف المناظرة ومساحة عقد وحل قد تتخذ صيغاً شتى، فقد تكون إشكالات تستلزم أجوبة محددة نتجت عن أسئلة مسكوت عنها ولدّت احتمالات ممكنة لكنها غير نهائية (الدهري، 2011م).

فمجمل النظرية يبحث عن عدم الانحصار داخل دائرة مغلقة تدور في فلك التقليد.

ولعل القول الحجاجي عند مايير مبني على طرح اسئلة بقضية معينة تستوجب من المُحاجج اتخاذ موقف حاسم بصددها بتقديم منظوره الخاص، ومحاولة إحداث الفرق من خلال التأثير على المخاطب وهذه هي النتيجة الطبيعية للمُحاججة، أو قد تكون جدالية تخالف النتيجة المراد الحصول عليها من الخطاب فتتعدى خلاف الأطراف الى عدم تقبلهم للطرح بمجمله، أو قد يكون تقبل الاختلاف نتيجة حتمية على أثر محددات اجتماعية فُرضت على المتلقي تسعى لترسيخ قيم ومبادئ أخلاقية ثابتة ومتأصلة في المجتمع ذات منظومة قيمية لا يمكن تجاهلها، فهي التي تصنع الحدث وتؤثر به وتسعى لترسيخ قيم كانت وما زالت أساسية، ولتفسير فكرة النظرية ضمن اطار منظومة القيم والاعراف العربية وتطبيقها عملياً في المجتمع العربي لذا اردنا تسليط الضوء على أهم القيم العربية القديمة وكيف أسهمت هذه القيم بصناعة فكر جمعي على ثقافة العرب القديمة التي أسست لمفاهيم ما زالت راسخة وثابتة لدينا، مثل المروءة، والعفاف، وحماية الدخيل، والثأر، والحفاظ على الأمانة، والسلام بين القبائل، وحل النزاعات وتوظيفها إقناعياً.

ومن وجهة نظر عربية بحته استقيناها من مجتمعنا نعلم جيداً أن العربي هو المعادل الموضوعي لكل القيم التي أثبتها وأكدها المجتمع العربي لذا نود أن نبين ونُثبت أسهام القيم في المحافظة على المجتمع العربي قبل الإسلام وبعده؟ وهل هناك أثراً سلبياً لهذه القيم في المجتمع؟ وهل حرص المجتمع العربي على التباهي والفخر بها وجعلها علامة فارقة في تاريخه؟

ففي جاهلية العرب وأدبهم نماذج عدة من مظاهر القيم العربية التي كانت وما زالت راسخة في العقل العربي ومن أمثلتها؛ الشكوى والظلم ورد الأذى عن الناس

ومن أحداث العرب أيام الجاهلية نختار ما رواه ابن كثير:

((روى أبو نعيم من طريق محمد بن الحسن بن زبالة عن محمد بن طلحة التيمي عن محمد بن إبراهيم بن الحارث عن أبي سلمة قال: كان كعب بن لؤيّ يجمع قومه يوم الجمعة ويفد عليهم ليخطب بهم ويذكرهم بمبادئهم كي لا ينسونها، وكانت قريش تسميه العَرُوبَة، فيخطبهم، فيقول:

أما بعد: فاسمعوا وتعلموا، وافهموا واعلموا، ليل ساج* (المعجم الوسيط، 1961م، صفحة 478/ ج1)، **ونهار ضاح*** (المعجم الوسيط، 1961م، صفحة 555/ ج1)، **والأرض مهاد، والسماء بناء، والجبال أوتاد، والنجوم أعلام، والأولون كالآخرين، والأنثى والذكر، والروح وما يهيج إلي بِلي، فصلوا أرحامكم، واحفظوا أصهاركم، وثمّروا أموالكم، فهل رأيتم من هالك رجع؟ أو ميت نُشر؟ الدار أمامكم، والظن غير ما تقولون، حَرَمُكم زيّنوه وعظِّموه، وتمسكوا به فسيأتي له نبأ عظيم، وسيخرج منه نبي كريم))** (الدمشقي، 1988م، صفحة 227/ ج2).

ففي خطاب الرجل على قومه نجد بعض ملامح الأسلوب الخطابي لذلك العصر، واول ما يتبين لنا، روعة اللفظ، وقصر الجملة مع تمام الإفادة من ناحية المعنى، والاقتباس الشعري، كما يتبين منها أنها لغرض النصح والإرشاد الديني، حيث يذكرهم بفناء الدنيا، ويحثهم على التحلي بمكارم الأخلاق، وتعظيم الحَرَم وما يتعلق به من شعائر، والإشارة إلى ظهور النبي محمد (ﷺ)، ولعل هذا راجع إلى وجود بقايا من دين إبراهيم (عليه السلام) لديهم، وإلى تأثرهم فكرياً ببعض أهل الكتاب الذين كانوا يعرفون النبي (ﷺ) من خلال كتبهم التي بشرّت به عليه الصلاة والسلام، كما يتبين كذلك أنها لم تتجاهل التعاليم والقيم التي نشأ عليها العرب وتغلغلت بهم وبفكرهم.

* ساج سُوجًا وسوَاجًا وسَوَجانًا: جاء وذهب.

* ضاح: بارز وظاهر.

DOI: https://doi.org/10.47831/mjh.v3i1.662

إذ تمثل في النص أعلاه اشارات واضحة لوصايا الرجل لقومه بالحفاظ على المال والعيال وصلة الرحم، والقُربى وروابط المحبة والآخاء بين أبناء القبيلة الواحدة ليصل بهم الى أنهم أبناء العرب الذين سيأتي يوم ويوحدهم الدين الواحد الذي يعزز كل ما يوصيه بهم وأن هذا الدين سيراعي قيمهم ومبادئهم التي تربوا وكبروا عليها ويلبي تطلعات المنظومة القيمية الأهم لدى العربي فكراً وتأثراً.

وفي هذا الحديث دلالات حجاجية وعلى وفق مبدأ الإجابة عن الأسئلة قبل أن ينطق بها السائل، فكيف سيكون النبي الجديد؟

والإجابة أنه سيكون مراعياً لعاداتكم كعرب، محافظاً على أموالكم، مُربياً لأبنائكم، عادلاً.

وهذا ما وقف عليه (مايير) فهو يبحث عن الأجوبة قبل الأسئلة محاولاً تخطي مرحلة الضياع الفكري التي تجعل من المتلقي مادة سهلة للرضوخ وعلى وفق ما يريد المقابل ونقصد من يريد الفتنة أو يبحث عنها.

كما أن مايير يحتم على المُحاجج مسألة القبول وفقاً لمبادئ الأخلاق أي حتى وأن كان كلام الوافد غير مقبول لدى البعض فهو بطريقة خطابه يغلق الأبواب على الاعتراض ويحتفظ المعترض برأيه لنفسه لإن منتج الخطاب قد كان خلوقاً ومهذباً في طرحه، ونحن نعلم جيداً أن الاعتراض ربما يولد شجاعة لدى من متواجد ورافض ويدفعه الى الحديث أيضاً، لكن السكوت يولد منطقة حره لتقبل البعض للفكرة أو رفضها.

ومن وفادات العرب التي تحاكي التسامح ما ذُكر عن وفادة رجلٍ مع قدوم النبي ومازالت العرب متمسكة بالجاهلية يقال له: عمرو بن مالك بن قيس، **((قدم على رسول الله (ص) فأسلم، ثم رجع الى قومه فدعاهم إلى الله،**

فقالوا: حتى نُصيب من بني عقيل مثل ما أصابوا منا، فذكر مقتلةً كانت بينهم، وأن عمرو بن مالك هذا قتلَ رجلاً من بني عقيل،

فقال: فشددتُ يدي في غُلّ وأتيت رسول الله (ص)، وبلغه ما صنعت،

فقال: لئن أتاني لأضربن ما فوق الغُلّ من يده، فلما جئت سلمت فلم يرد عليَّ السلام وأعرض عني فأتيته عن يمينه فأعرض عني، فأتيته عن يساره فأعرض عني، فأتيته من قِبل وجهه،

فقلت:(يا رسول الله إن الرب عز وجل لَيترضّى فيرضى فأرضَ عني رضي الله عنك،قال: رضيت) (الظاهري، 1984م،صفحة 147).

جاء الإسلام بالقيم النبيلة والمبادئ الأصيلة لكي تصلح حياة البشر لعل من بينها خلقاً رفيعاً يدل على نقاء قلب صاحبه وهو الاعتذار، يُغيَّر الاعتذار ومعرفة الذنب وجهات النظر ويعزز الثقة والتعايش بين أفراد المجتمع وينمي الرحمة والآخاء فيما بينهم، فهو لا يصحح علاقات البشر فحسب، ولكنه جزء من تصحيح علاقة العبد بربه، وهو ناتج عن نبل وتسامح، وذنب الرجل كان كبيراً لذا كانت ردود الأفعال ملائمة لجسامة الحدث، ونعلم أن مقام النبوة مُفعم بالأمل والقداسة وهذه كانت منطقة اشتغال الرجل الذي جاء الى رسول الله طالباً العفو والسماح، من خلال إصراره ورغبته للوصول الى غايته وهي رضى الرسول الكريم (ص).

إنَّ فلسفة السؤال والجواب طالما تحفزنا على فتح نوافذ للحوار وهذا ما دعى اليه مايير ولكنها بذات الوقت تدعو الى احترام الرأي والرأي الآخر بعيداً عن التشنج والاحتقان المضمر والظاهر بكل تمظهراته المادية والفكرية والمعنوية وغرس ثقافة التواصل بين البشر بكل أجناسهم وقومياتهم وعقائدهم لفتح نوافذ عدة لتقبل الآخر وهذا ما دعى اليه الإسلام من أجل الوصول لغاياته، والأهم أن تكون بنمط حجاجي يحث على الاستقصاء والإيغال الأمثل للوصول الى طروحات ذات دلالات مُقنعة للآخر، ففلسفة السؤال والجواب هي نقطة جديدة لبلورة الأفكار وتصحيحها، ونحت مايير المفاهيم ليصل الى منطقة جمالية تصنع خطاباً تواصلياً يتحرر من قسوة الحجاج الذي يتم التحكم به من خلال ادوات تقيده ويصل بالخطاب الى صيغة حجاجية أكثر تحرراً على مبدأ تحديد من يُخاطب مَنْ.

الخاتمة

خلاصة القول: وجدنا أن مايير قد تعامل مع الخطاب من خلال إظهار مكوناته الغير مرتبطة بالتعبير والإقناع فقط بل طرحها طرحاً اشكالياً لمختلف القضايا والتساؤلات داخل نظام اللغة وخارجها من خلال البحث عن الباطن اكثر من الظاهر وذلك وجدناه واضحاً وصريحاً في الأدب الذي كُتب خلال فترة الجاهلية وما تلاها وعبرَ عن فكر العرب وفلسفة حياتهم وسلوكهم من خلال السلوك الحجاجي الذي طبقه مايير في فلسفته وطبقناه نحن على شواهدنا، وقد برهنت لنا فلسفة السؤال والجواب أنها المحفز الأهم لفتح نوافذ الحوار وتحليله حجاجياً لمنح النصوص حريتها وإنتزاعها من قوالبها الضيقة التي تصنع مهيمنات تُحجم الخطاب وتبعث فيه روح

DOI: https://doi.org/10.47831/mjh.v3i1.662

الملل، على عكس خطاب مايير الذي يبث الروح في النصوص ليحللها وفق رؤى مختلفة يُحددها متلقي النص وفقاً لبيئته وافكاره وفلسفته في رؤية النص من منظاره الخاص لا منظار القوالب الجاهزة التي تصنع تحليلاً تقليدياً بائساً.

المصادر

ابن هشام، أبي محمد بن عبد الملك. (1995م). *سيرة النبي صلى الله عليه وسلم* (المجلد الاولى). طنطا، مصر: دار الصحابة للتراث.

الاصفهاني، أبو الفرج. (1980م). *الأغاني*. (إحسان عباس، المحرر) بيروت: دار صادر.

البياتي، عادل جاسم. (1986م). *دراسات في الأدب الجاهلي*. الدار البيضاء.

حمود، حمادي. (د.ت). *البلاغة والحجاج من خلال نظرية المساءلة لميشال مايير (اهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو الى اليوم)*. تونس: كلية الآداب.

الدمشقي، الحافظ ابن كثير. (1988م). *البداية والنهاية* (المجلد الاولى). (د. أحمد أبو ملجم وآخرين، المحرر) القاهرة: دار الريان للتراث.

الدهري، أمينة. (2011م). *الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة* (المجلد الاولى). شركة النشر والتوزيع، الدار البيضاء.

رزقي، حبيب. (٢٠١٧م). *البنية الحجاجية في كتاب اللؤلؤ والمرجان*. الجزائر: جامعة الإخوة.

الظاهري، أبي تراب. (1984م). *وفود العرب* (المجلد الاولى). دار القبلة للثقافة الإسلامية.

عشير، عبد السلام. (٢٠٠٦م). *عندما نتواصل نغير (مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل الحجاجي)*. المغرب: أفريقيا الشرق.

مدقن، هاجر. (2013م). *الخطاب الحجاجي أنواعه وخصائصه* (المجلد الاولى). الجزائر: منشورات الاختلاف.

المعجم الوسيط (المجلد الاولى). (1961م). القاهرة: مجمع اللغة العربية.

المناصرة، عز الدين. (2006م). *علم التناص والتلاص نحو منهج عنكبوتي تفاعلي* (المجلد الثالثة). عمان: دار مجدلاوي.

مهنا، عبد (المحرر). (1994م). *ديوان حسان بن ثابت* (المجلد الثانية). بيروت: دار الكتب العلمية.

References

Aachir, A. S. (2006). *When we communicate, we change (A cognitive-pragmatic approach to the mechanisms of argumentative communication)*. Morocco: Africa East.

Al-Bayati, A. J. (1986). *Studies in Pre-Islamic Literature*. Casablanca.

Al-Dahri, A. (2011). *Argumentation and the construction of discourse in light of the new rhetoric (Vol. 1)*. Publishing and Distribution Company, Casablanca.

Al-Dimashqi, I. K. (1988). *Al-Bidaya wa'l-Nihaya (Vol. 1)* (A. Abu Miljim et al., Eds.). Cairo: Dar Al-Rayan for Heritage.

Al-Isfahani, A. F. (1980). *Al-Aghani* (I. Abbas, Ed.). Beirut: Dar Sader.

Al-Manasra, A. (2006). *Intertextuality and plagiarism science towards an interactive spider-web methodology (Vol. 3)*. Amman: Dar Majdalawi.

Al-Mu'jam Al-Wasit (Vol. 1). (1961). Cairo: Academy of the Arabic Language.

Al-Zahiri, A. T. (1984). *The delegations of the Arabs (Vol. 1)*. Dar Al-Qibla for Islamic Culture.

Hammoud, H. (n.d.). *Rhetoric and argumentation through the theory of questioning by Michel Meyer (The most important theories of argumentation in Western traditions from Aristotle to today)*. Tunis: Faculty of Letters.

Ibn Hisham, A. M. B. (1995). *The biography of the Prophet (Vol. 1)*. Tanta, Egypt: Dar Al-Sahaba for Heritage.

Madqan, H. (2013). *The argumentative discourse: Its types and characteristics (Vol. 1)*. Algeria: Publications of Difference.

Muhanna, A. (Ed.). (1994). *Diwan Hassan Ibn Thabit (Vol. 2)*. Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya.

Rizki, H. (2017). *The argumentative structure in the book "Al-Lu'lu' wal-Marjan"*. Algeria: University of Brothers.

DOI: https://doi.org/10.47831/mjh.v3i1.662